

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حِمَاةُ الْمُسْتَهْلِكِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَحْكَمَ نِظَامَ التَّعَامُلِ بَيْنَ الْمُتَعَامِلِينَ، وَيَسَّرَ مِنَ الْأَحْكَامِ مَا فِيهِ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، الصَّادِقِ الْأَمِينِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْذِينَ بِحُجْرِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَمَنْ اتَّقَاهُ فَتَّحَ لَهُ أَبْوَابُ الْخَيْرِ، وَدَفَعَ عَنْهُ أَسْبَابَ الشَّرِّ وَالضَّرِّ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(١).

عِبَادَ اللَّهِ:

اِقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ تَعَامَلَاتٌ بَيْنَ الْعِبَادِ، لَا تَسْتَمِرُّ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهَا؛ فَتَتَحَقَّقُ الْحِكْمَةُ النَّبَالِغَةُ ﴿مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾^(٢)، فَالْخَلْقُ مُسَخَّرٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَلَا يُمَكِّنُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَعِيشَ بِمَعزِلٍ عَنْ أَخِيهِ الْإِنْسَانِ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ، وَأَخْذٍ وَعَطَاءٍ، وَعُقُودٍ وَمُعَامَلَاتٍ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ الْخَنِيفُ مُنْظِمًا لِتِلْكَ التَّعَامَلَاتِ، وَسَانًا جُمْلَةً مِنَ الْأَحْكَامِ وَالتَّشْرِيعَاتِ؛ لِتُنْتَظَمَ حَيَاةُ الْبَشَرِ، وَتُحْفَظَ أَنْفُسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ؛ فَكَانَ النَّدَاءُ الرَّبَّانِيُّ الْعَظِيمُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾^(٣)، وَقُرِنَ هَذَا النَّهْيُ بِنَهْيٍ آخَرَ فَقَالَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٤)، فَذَلِكَ هَذَا الْاِقْتِرَانُ أَنَّ التَّزَامَ الْحَقَّ فِي التَّعَامُلِ الْمَالِيِّ سَلَامَةٌ لِأَزْوَاجِ الْبَشَرِ وَضَمَانٌ لَهَا ﴿أَلَيْسَ

اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾^(٥).



(١) سورة الطلاق / ٢-٣.

(٢) سورة الزخرف / ٣٢.

(٣) سورة البقرة / ١٨٨.

(٤) سورة النساء / ٢٩.

(٥) سورة التين / ٨.

أُيْهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الْإِسْلَامَ الْحَنِيفَ جَاءَ لِيُحَقِّقَ الْعَدَالََةَ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ فَكَانَ دَاعِيًا إِلَى مَا فِيهِ حِفْظٌ لِحَقِّ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي، فَلَيْسَ لِلْبَائِعِ أَنْ يَضُرَّ الْمُشْتَرِي، وَلَيْسَ لِلْمُشْتَرِي أَنْ يَضُرَّ الْبَائِعَ (وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)، فَصَاحِبُ السِّلْعَةِ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَعْضِدَ سِلْعَتَهُ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكَرَ مَا لَيْسَ فِيهَا، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُخْفِيَ عَيْبَهَا إِنْ كَانَ بِهَا عَيْبٌ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَتَنَافَى مَعَ الْأَمَانَةِ الَّتِي وَجِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(١)، وَلَيْسَ لِلْمُشْتَرِي أَنْ يَضُرَّ الْبَائِعَ؛ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَحْطَ مِنْ شَأْنِ السِّلْعَةِ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَزْعُمَ أَنَّهُ وَجَدَهَا بِثَمَنِ أَقَلِّ مِنَ الثَّمَنِ الَّذِي عِنْدَ صَاحِبِهِ وَهُوَ غَيْرُ صَادِقٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ لَا يَقْرَهُ الشَّرْعُ، وَتَأْبَاهُ الْأَخْلَاقُ الَّتِي رَبَّى عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ اتِّبَاعَهُ (فَلَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ فِي الْإِسْلَامِ)، وَعِبَادَاتُ الْإِنْسَانِ مِنْ صَلَاةٍ وَصَوْمٍ وَحَجٍّ وَزَكَاةٍ تَجْدُ آثَارَهَا مُنْعَكِسَةً عَلَى تَعَامُلَاتِ الْإِنْسَانِ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ، وَأَخْذِهِ وَعَطَائِهِ؛ فَتَجِدُ الْمُؤْمِنَ حَقًّا عَلَى مَنَاجِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ قُرْآنًا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢).

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ:

لَقَدْ مَنَّ الْإِسْلَامُ الْإِحْتِكَارَ (وَلَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئًا)، فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَجْمَعَ سِلْعَةً مِنَ السِّلْعِ فِي الْمَخَازِنِ بِقَصْدِ حَبِئِهَا عَنِ النَّاسِ حَتَّى يَحْتَاجُوا إِلَيْهَا؛ فَيَبِيعَهَا لَهُمْ بِثَمَنِ فَوْقَ ثَمَنِهَا الْمُعْتَادِ، أَوْ لِيَعْرِضَهَا فِي وَقْتٍ لَا تَكُونُ فِيهِ مُتَوَافِرَةً بِالْمَقَادِيرِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا النَّاسُ - فَيَكُونُ الطَّلَبُ أَكْثَرَ مِنَ الْعَرْضِ - فَيَبِيعَهَا بِثَمَنِ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْإِعْتِدَاءِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٣)، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَعْفِلَ النَّاسَ؛ فَيَرْفَعَ عَلَيْهِمُ الثَّمَنَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْعَرْرِ الْمَحْرَمِ؛ وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ بَيْعِ الْعَرْرِ، وَفِي ذَلِكَ كَذِبٌ عَلَى



(١) سورة الأحزاب / ٧٢.

(٢) سورة الأحزاب / ٢١.

(٣) سورة البقرة / ١٩٠.

المُسْتَهْلِكِ وَتَدْلِيْسٍ عَلَيْهِ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَكُونُ كَذَّابًا، فَمِنْ صُورِ ذَلِكَ رَفْعُ أُجْرَةِ السَّيَّارَةِ عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ سِعْرَ الْأُجْرَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ بَيْعُ سِلْعَةٍ بِسِعْرِ مُبَالِغٍ فِيهِ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ سِعْرَ السِّلْعِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَذَلِكَ اِحْتِيَالٌ وَعُدْوَانٌ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي بَلَدٍ قَلَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَامَ الْأَخْلَاقِ، وَقَدْ رَاعَى دِينَ الرِّحْمَةِ الْمُسْتَهْلِكِ فَمَنَعَ مِنْ تَلَقِّي أَصْحَابِ البَضَائِعِ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى الْأَسْوَاقِ لِاِسْتِرَاءِ البَضَائِعِ مِنْهُمْ وَبَيْعِهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِغَيْرِ سِعْرِهَا، وَمَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ عَلَيْهِ تَبْلِيغُ الْجِهَاتِ الْمُخْتَصَّةِ الَّتِي تَحْمِي الْمُسْتَهْلِكِ، وَتُرَاقِبُ الْأَسْوَاقَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالعُدْوَانِ﴾ (١).

مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ:

إِنَّ التَّقَدُّمَ الْعِلْمِيَّ سَهْلٌ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَخْتَارَ السِّلْعَةَ الْحَسَنَةَ بِثَمَنِهَا الْحَقِيقِيِّ؛ فَيُمْكِنُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ سِلْعَةً أَنْ يَفْتَحَ الْمَوَاقِعَ الْمُوثُوقَةَ فِي شَبَكَاتِ التَّوَاصُلِ؛ فَيَطَّلِعَ عَلَى الْمَوَاصِفَاتِ، وَيَقِفَ عَلَى الْأَنْوَاعِ وَالخِيَارَاتِ، وَيَعْرِفَ الْجَيِّدَ وَالرَّدِيءَ مِنْ تِلْكَ السِّلْعَةِ، وَيَرَى ثَمَنَ كُلِّ نَوْعٍ بِحَسَبِ دَرَجَتِهِ وَمَوَاصِفَاتِهِ؛ فَيَكُونُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا قُدْرَةٍ عَلَى التَّعَامُلِ مَعَ الشَّبَكَاتِ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِينَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَذَلِكَ مِنَ الْفِطْنَةِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَدَرَّعَ بِهَا (فَالْمُؤْمِنُ كَيْسٌ فِطْنٌ)، وَالْإِسْلَامُ دِينٌ يَحْمِلُ اتِّبَاعَهُ عَلَى أَخْذِ الْحِيْطَةِ وَالْحَذَرِ فِي التَّعَامُلَاتِ، وَخُصُوصًا فِي الْمُعَامَلَاتِ الْمَالِيَّةِ؛ فَإِنَّهَا مَزَلَّةُ الْأَقْدَامِ؛ وَلِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِكِتَابَةِ الدَّيْنِ وَلَوْ كَانَ الْمُتَدَايِنُونَ عُدُولًا ﴿وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُوبَهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ (٢).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يُغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.



(١) سورة المائدة / ٢ .

(٢) سورة النقرة / ٢٨٢ .